ذوائب المعاني الدانية

إلى بيان

الزاني لا ينكح إلا زانية

بقلم

عادل بن شعيب شلّار الرفاعي الحمصي الشافعي

وهي رسالة حول بيان قوله تعالى :

((الزَّانِي لَا يَنكِحُ إلاّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِين))

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القدوس العزيز الحكيم والصلاة والسلام على أطهر عباد الله أجمعين سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وعلى أزواجه وآله وأصحابه وإخوانه أجمعين .

وبعد :

في عصر من الفتن تدع الحليم حيران وتدعو المتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغربة ولزوم العزلة عن الناس والعيش كالقابض على الجمر أحببت أن أكتب رسالة صغيرة الحجم أنبه بها عباد الله إلى ما آلوا إليه من الردى والهلاك وأصحح لهم كثيراً من المفاهيم الفاسدة وأضطرهم إلى المعاني الراقية التي أرادها الله عز وجل في كتابه الكريم وبينها ووضح أسرارها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله وحاله .

ثم إن هذه الرسالة أتكلم فيها على بعض المعاني المرادة في الآية التي تتكلم على عدم زواج العفيف أو العفيفة من الزانية والزاني

قال الله تعالى: ((الزَّانِي لَا يَنكِحُ إلاّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِين)) سورة النور : الآية ٣

في هذه الآية الكريمة تصريحات وإشارات لمعاني كثيرة ، وفيما يلي بيان لبعض هذه المعاني .

المعنى الأول : أن الأمر الذي حرمه الله عز وجل على المؤمنين أن يتزوج الرجل المؤمن العفيف من امرأة بغي تسعى بفرجها ، وكذلك حرم على المرأة المؤمنة العفيفة أن تتزوج رجلاً فاسقاً يزني .

لذلك : فإن الأنبياء جميعهم صلوات الله عليهم قد تزوجوا النساء العفيفات وقد كان بعض الأنبياء صلوات الله عليهم قد

تزوجوا من نساء كافرات كامرأة لوط وامرأة نوح إلا أنهن كن عفيفات لا يزنين ، ولم يكن الزواج بالكافرة محرماً ، بل إن النبي صلى عليه وسلم قد زوج ابنتيه من رجلين كافرين عفيفين قبل أن ينزل تحريم الزواج بين المؤمنين والمشركين .

لذلك : من الأحكام الربانية أنه إذا اتهم الزوج زوجته بالزنا أو اتهمت هي زوجها بالزنا ثم تلاعنا أمام القاضي وشهد كل واحد منهما شهاداته الخمس فإنه يفرق بينهما ولا يرجعان لبعضهما ، لأن أحدهما يكون كاذباً فإما أن تكون المرأة صادقة ويكون زوجها كاذباً مفترياً ، فإن كانت المرأة عفيفة صادقة فلا يليق أن تعيش تحت رجل مفتر كاذب ، لأن الرجل المفتري الكاذب يعتبر زانياً وسأبين ذلك إن شاء الله تعالى عند الكلام على حديث النبي صلى الله عليه وسلم ((وإن أربى الربا استطالة المسلم في عرض أخيه))

وإذا كانت المرأة كاذبة زانية فلا يليق للرجل المسلم العفيف أن يبقيها تحته لقوله تعالى : ((والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك)) .

فائدة :

استفاد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الآية الكريمة ((الزَّانِي لَا يَنكِحُ إلاّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إلاّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِين)) أن لا يزوجوا المحدود بالزنا من امرأة عفيفة وكذلك لا يرون أن يتزوج الرجل العفيف من امرأة محدودة بالزنا .

روى الإمام أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله)) .

ورأى العلماء جواز نكاح المحدود من العفيفة وبالعكس إذا تاب المحدود أو تابت المحدودة بعد فجرتها ، وذلك لأن نهاية الآية تشير إلى هذا المعنى ، ففي قوله تعالى : ((وحرم ذلك على المؤمنين)) إشارة واضحة إلى الجواز لأن التائب من الذنب يعتبر من المؤمنين وهذا واضح جلي في الآية التي بعدها ، وهي قوله تعالى : ((والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون * إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم))

ففي هذه الآية استثناء للمحدودين حد القذف من وصف الفسق بعد توبتهم وظهور صلاحهم وهذا يشعر برجوعهم لوصف الإيمان واعتبارهم من المؤمنين .

ولذلك : كان من الأحكام الربانية جواز الزواج من نساء أهل الكتاب بشرط أن تكون المرأة اليهودية أو المرأة النصرانية عفيفة

لا تتعاطى الزنا ولا التبرج ، قال الله تعالى : ((اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين)).

وفي جواز نكاح المسلم من الكتابية وعدم جواز نكاح الكتابي من المسلمة إشارة من اللطيف الخبير إلى أن الرجال غير المسلمين يندر أن يكونوا عفيفين غير مسافحين ولا متخذي أخدان.

المعنى الثاني : يدرك هذا المعنى الذي تفيض به الآية الكريمة من خلال معرفة الوصف الذي يعتبر به الإنسان زانياً وهذا الأمر تدرك حقيقته من خلال التصريحات **والإشارات النبوية وفيما يلي سأذكر طائفة منها** :

١- روى البيهقي في الشعب وأحمد وابن حبان وغيرهم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ،أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ((أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية و كل عين زانية)) .

في هذا الحديث تصريح بأن المرأة إذا نفحت الطيب على نفسها وخرجت ومرت على الرجال وهي تقصد عرض نفسها أمامهم وجذب انتباهم إليها فهي تعتبر زانية وكذلك يعتبر الرجال والنساء الذين نظروا إليها زانين أيضاً .

لذلك فإن الأم إذا رضيت لابنتها أن تخرج سافرة مستعطرة كاسية عارية فإن الأم والبنت والأب الذي رضي ذلك كلهم زناة ، لذلك فإن الزاني لا ينكح إلا زانية والزانية لا ينحكها إلا زان مثلها ، وفي هذه الصورة الأم زانية لرضاها بسفور ابنتها والأب كذلك والزوج إذا رضي من زوجته السفور زان كذلك .

أما إذا استعطرت المرأة لزوجها ثم أمرها زوجها أو اضطرت إلى الخروج لحاجة فصادف أن شم الرجال ريحها وهي لا تقصد ذلك إنما تحاشت مجلس الرجال ما أمكن فلا شيء عليها إن شاء الله ، وحتى لا تقع مثل هذه المرأة في الإثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجلوس في الطرقات وإذا كان لا بد من الجلوس فأمرهم بغض البصر وكف الأذى .

٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الربا ثلاثة و سبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه و إن أربى الربا عرض الرجل المسلم)) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي

وعن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية)) قال في مجمع

الزوائد رواه أحمد و الطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح

في هذين الحديثين تصريح باعتبار الذي يتعاطى الربا زانياً أخبث الزنا فقد بينت الأحاديث أن أهون أبواب الربا مثل الذي ينكح أرحامه وأن الدرهم الواحد من الربا مثل خمس أو ست وثلاثين زنية وبين الحديث أيضاً أن الذي يقذف المحصنات المؤمنات ويتهم أعراض المسلمين يعتبر زانياً أخبث الزنا وأفجره ، وأعظم من الربا وبما أن الله تعالى في كتابه أعلن الحرب على أهل الربا فإن هذه الحرب تطال أولئك الذين يستطيلون في أعراض المسلمين .

ومن نظر إلى عصرنا هذا يرى أن المسلمين قد سهل عليه تعاطي الربا وسهل عليهم رمي أعراض المؤمنين حتى إنك لترى المسلم هذه الأيام يمدح المرأة السافرة المستعطرة بالعفة والأخلاق الحسنة ويؤذي المرأة المحتشمة التي تذكره بمنظرها إلى

معاني العفة التي افتقدها ذلك المسلم ، وهكذا تعلم يقيناً أن الرجل الذي تعاطى الربا وأن زوجته التي دفعته إلى ذلك أو رضيت من زوجها التعامل بالربا إنما هما حقيقة زانية وزاني .

٣- روى الطبراني في الصغير بسند حسن ، عن ميمون الكردي عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها خدعها فمات ولم يؤد إليها حقها لقي الله يوم القيامة وهو زان))

هذا الحديث يلفت المسلم إلى حقيقة خطيرة وهي أن نية الرجل أن يأكل مهر زوجته وإضماره أن لا يعطيها مهرها إنما ذلك نوع من الزنا يصيب ذلك المعتدي لذلك فهو عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم يعتبر زانياً حتى يتوب ويخلص نيته لله الواسع العليم .

وفي طيات هذا المعنى إشارة نبوية إلى تيسير أمر النكاح والإقلال من المهور حتى لا يكون كثرة المهر دافعاً للرجل إلى هذه النية الخبيثة ، لذلك فإن أولياء النساء إذا دفعوا أزواج نسائهم إلى تلك النية الخبيثة فإنهم يشتركون مع الزوج في الإثم ويلبسون صورة الزنا التي لبسها ذلك الزوج الآثم .

٤- روى الإمام مسلم وأصحاب السنن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))

في هذا الحديث تنبيه للمسلم إلى إنكار المنكر باليد أو اللسان أو بالقلب لذلك إذا رأى المسلم امرأة سافرة مستعطرة وجب عليه الإنكار وأقل هذا الإنكار أن يكون في القلب .

ثم إنك تشاهد أن من المسلمين من يرى المنكر ويرضى به بل ويستحسنه ويمدحه ، لذلك فالرجل الذي يستحسن سفور المرأة وتعطرها يعتبر زانياً مثلها والزوجة التي ترضى لزوجها ذلك زانية مثله وهكذا فالزاني لا ينكح إلا زانية والزانية لا ينكحها إلا زان .

٥- سماع الغناء الفاحش ومشاهدة الفجور يعتبر ذلك عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من الزنا .

روى البخاري ومسلم في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه)).

فانظر هذه الأيام كيف يجتمع الرجل مع زوجته وأولاده على سماع ومشاهدة أهل الفجور ، ثم إن الرجل إذا شاهد الزنا فإنه يزني بالمشاهد بها زنا تخيلي وهو نوع من أنواع الزنا والمرأة المشاهدة في الفيلم الإباحي إنما هي زانية وكثير منهن مشركات فإذا زنا بفكره وتخيله فإنه يصبح زانيا ينكح زانية أو مشركة زنا تخيلي ، وكذلك المرأة التي تشاهد الفيلم الإباحي فإنها تزني زنىً تخيلي ، فإذا كان الرجل وامرأته يفعلون هذا الفعل فقد تحول كل واحد منهما إلى زاني وزانية ، ثم ينامون ولا يذكرون الله ولا يتوبون ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا)) رواه مسلم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)) رواه البخاري

٦- أخبرنا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أن الشيطان يحضر شؤون الإنسان ويشاركه في كثير من أحواله منها طعامه وجماعه وإذا جامع الشيطان مع الإنسان كان ما بينهم زني ينبغي التوبة منه .

قال الله تعالى : ((قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُورًا*وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا*إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا)) سورة الأسراء آ:٦٢-٦٥

روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أما إن أحدكم إذا أتى أهله وقال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا ولدا لم يضره الشيطان)) .

روى الإمام مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال :سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة))

روى الطبراني بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إذا أتى أحدكم أهله فليستتر فإنه إذا لم يستتر استحيت الملائكة وخرجت وحضره الشيطان فإذا كان بينهما ولد كان الشيطان فيه شريك))

لعل هذا الحديث في حق الذي نسي الذكر قبل الجماع ولكنه مستتر بالغطاء حياءً فإذا انكشفت عورته خرجت الملائكة وإذا خرجت الملائكة دخلت الشياطين ، والله أعلم .

لذلك ينبغي للمسلم أن يحرص على الذكر الذي يستره عن الجن والملائكة خشية أن يتكشف أثناء الجماع .
روى الطبراني عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا وضعوا ثيابهم أن يقولوا بسم الله)).

أخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن جرير عن التابعي مجاهد رحمه الله قال : ((إذا جامع الرجل أهله ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه فذلك قوله لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان))
وهكذا يتبين أن ترك الشيطان والسماح له بحضور الجماع بين الرجل وزوجته ومشاركة الشيطان معهم الجماع ذلك صورة من

صور الزنا وهكذا يكون الزاني لا ينكح إلا زانية أي يزني بها الشيطان لأنه ترك التسمية والدعاء قبل الجماع .

٧- روى الطبراني بسند جيد عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت :كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال والنساء فقال : ((عسى رجل يحدث بما يكون بينه وبين أهله أو عسى امرأة تحدث بما يكون بينها وبين زوجها فأرم القوم فقلت : أي والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن قال : فلا تفعلوا فإن مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة في ظهر الطريق فغشيها والناس ينظرون))

هذا الحديث ينبه إلى أن التحدث عما يكون بين المرأة وزوجها من أمور الجماع هو نوع من الزنا القبيح وأن الرجل الذي يتحدث أمام أصحابه عما كان بينه بين امرأته من ألوان الجماع يعتبر زانياً بصورة شنيعة وهذه الصورة صورة شيطان

وقح يجامع شيطانة أمام الناس ، وهكذا يكون الزاني لا ينكح إلا زانية .

٨- تجاهل انفساخ عقد النكاح :

* بعض المسلمين يكفرون بالله ويشتمون الخالق جل وعلا ويستهزئون بالدين ويشتمون الأنبياء ثم بعد ذلك يعاشرون زوجاتهم قبل التوبة والاستغفار . بالكفر ينفسخ عقد النكاح ويصبح الجماع بينهما محرماً ويكون صورة من صور الزنا .

* الذي يرمى ألفاظ الطلاق جزافاً ولا يتقي ربه فهو يطلق امرأته أكثر من ثلاث ويبقيها عنده ويجامعها وهي ليست بزوجته فهذا أيضا من صور الزنا ، وهكذا يتوضح كلام الله عز وجل وتنكشف بعض أسرار الآية الكريمة : ((الزَّانِي لا يَنكِحُ

إلاّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِين))

نصيحة :

أخي المسلم لا تحملنك هذه الرسالة على الطعن بالخلق والتشدد عليهم ولكن كن بهم شفيقا وانصحهم برفق ولا تصفهم بأوصاف تزعجهم .

وفي الختام

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً وهيئ لهذه الأمة المحمدية من يقودها إلى صراطك المستقيم ، واغفر لنا وارحمنا وعافنا واعف عنا واجبرنا وارفعنا وانصرنا وارزقنا وصل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين .